سلسلة مطويات شبكة بينونة

جود النبي صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

الشيخ
يوسف بن حسن الحمادي

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ من نعوت الله تعالى الكريمة، وصفاته الكاملة: الجود، يقول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَوادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»[1]، أي: رديئها ودنيئها وحقيرها.

وجود ربنا تعالى واصل لعامَّة خَلْقه، فهو تعالى كثير العطاء، دائم الإحسان، واسع الفضل، وله تعالى من معاني هذه الصفة أكملها وأعلاها.

ولَمَّا كان ربنا تعالى مُتَّصفاً بهذه الصفة ومحبّاً لها فإنه يحب ظهور أثرها في عباده، فلذلك هيَّأ لهم من الأزمنة، وخصَّ لهم من الأوقات ما يُعينهم على ذلك، ومن هذه الأزمنة الشريفة: شهر رمضان المبارك.

ومَن نظر في سيرة رسول الله ﷺ ووَقَف على أحاديثها تبيَّن له عِظَم اتِّصاف النبي ﷺ بصفة الجود وتحقيقه لها في شهر رمضان المبارك وفي غيره، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»[2].

وعبَّر بالريح المرسلة لاستمرار مدَّتها ودوام نفعها، وهكذا كان عمله ﷺ متَّصلاً لا ينقطع في شهر رمضان، حيث كان أسرع بالخير من الريح العاصفة، فقد كان يلقى جبريل عليه السلام في كل ليلة من شهر رمضان فيدارسه القرآن، وهذه المدارسة تورثه ﷺ المسارعة إلى فِعْل الصالحات، والاجتهاد في عمل الطاعات؛ لِمَا في القرآن من حثٍّ على مكارم الأخلاق، وترغيب في فِعْل القُربات، وزجر عن ارتكاب المنهيات، فيحيا قلبُه وتقوى رغبتُه فيما عند الله، ويزداد إقبالاً على ربِّه تعالى.

نعم، هكذا كان جود نبيِّنا ﷺ وكرمه في شهر رمضان بجميع أنواع الجود وصنوف الكرم وصنائع المعروف المتنوعة

(١) رواه البيهقي في شُعَب الإيمان (١٠٣٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٧٤٤).

(٢) رواه البخاري (٦) واللفظ له، ومسلم (٢٣٠٨).

«مِن بذلِ العلم، والمال، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دِينه، وهداية عباده، وإيصال النفع إليهم بكل طريق، من إطعام جائعهم، ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم»[٣]، مع سروره ﷺ التَّام بهذا العطاء، وفرحه بهذا النفع للخَلْق بصدر منشرح، ونفس طيبة، وقلب مطمئن.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « كان من هديه ﷺ في شهر رمضان الإكثار من أنواع العبادات، فكان جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان، يُكثر فيه من الصدقة والإحسان، وتلاوة القرآن، والصلاة، والذِّكْر، والاعتكاف، وكان يخص رمضان من العبادة بما لا يخص غيره به من الشهور»[٤].

وانطلاقاً من هذا الهدي النبوي فإنَّ المسلم الصادق في الاقتداء برسول الله ﷺ وحبِّه له يجتهد في القيام بحق هذا الشهر، قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أُحِبّ للرجل الزيادة في الجود في شهر رمضان اقتداءً برسول الله ﷺ »[٥].

ومن هنا فإنَّ **المسلم يتأسَّى برسول الله** ﷺ في مدارسة القرآن، وتدبُّره، وتلاوته، ويقتدي به ﷺ في الإحسان إلى الناس، وسدِّ حاجتهم، فيكثر من الصدقة وإطعام الطعام، ويحرص على تفطير الصائمين عملاً بقول النبي ﷺ: « مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا »[٦].

والمُتَّبع لرسول الله ﷺ يؤدي صلاة التراويح في جماعة ويبقى مع الإمام حتى يقضي صلاته من غير تضجُّر، لقول النبي ﷺ: « مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »[٧]، ولقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: « مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّىَ يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ »[٨].

(٣) لطائف المعارف لابن رجب (ص٣٠٦).
(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (٢/٣٧-٣٨).
(٥) لطائف المعارف لابن رجب (ص٣١٥).
(٦) رواه الترمذي (٨٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٠٧٨).
(٧) رواه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).
(٨) رواه الترمذي (٨٠٦)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٤٤٧).

نعم، كُتب له قيام ليلة وإن نام على فراشه، وهذا يعني أنَّ من «انصرف قبل تمام الإمام لم يحصل له أجر قيام الليل»[٩].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه نعمة كبرى لا ينبغي للمؤمن أن يتركها، بل ينبغي له أن يثابر عليها ويحافظ على التراويح مع الإمام من أولها إلى آخرها»[١٠].

والمحب لرسول الله ﷺ يسعى لأداء العمرة في شهر رمضان -إن تيسَّر له ذلك-؛ لأنها بمنزلة الحج مع رسول الله ﷺ، لقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «فَإِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً أَوْ حَجَّةً مَعِي»[١١].

والناصح لنفسه يقتدي برسول الله ﷺ في شهر رمضان فيحافظ على الصلوات الخمس في أوقاتها مع جماعة المسلمين في المسجد، ويأتي بالسُّنن الرواتب قبل الصلاة وبعدها.

والصادق في قبول عبادته يحرص على التفقُّه في أحكام الصيام من خلال حضور الدروس أو المحاضرات أو الاستماع للمواد الصوتية عبر وسائل التواصل الحديثة رجاء الدخول في قوله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[١٢].

والمسلم في شهر رمضان يغتنم شيئاً من أوقاته لصلة أرحامه -ولو بالهاتف-، والإحسان إلى جيرانه، والإصلاح بين الناس، كما أنه يكثر من الاستغفار وذِكْر الله تعالى، ويصلِّي على الجنائز ويتبعها، ويواظب على صلاة الضحى، ويغتنم أوقات إجابة الدعاء.

والمقتدي برسول الله ﷺ يعتني بأسرته، ويرشدهم إلى وظائف هذا الشهر وأعماله، كما أنه يجتهد في ضبط نفسه وأخلاقه مع الآخرين، ومن تطاول عليه أو سبَّه ردَّ عليه بما أرشد إليه النبي ﷺ ويقول: إني صائم، إني صائم، امتثالاً لقوله ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَجْهَلْ، وَإِنْ جَهِلَ عَلَيْهِ أَحَدٌ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ»[١٣].

---

(٩) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٤/٢٠٠).
(١٠) المرجع السّابق (١٩/١٨).
(١١) رواه البخاري (١٨٦٣).
(١٢) رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).
(١٣) رواه ابن ماجه (١٦٩١)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٣٨١).

وإذا جاءت العشر الأواخر اجتهد المسلم فيها اتِّباعاً لرسول الله ﷺ، حيث كان يُحيِي ليلَه، ويجدُّ، ويعتكف، ويوقظ أهله لإحياء العشر الأواخر بالقيام وتلاوة القرآن، هكذا وصفت أُمُّنا عائشة رضي الله عنها حال نبيِّنا ﷺ إذا دخلت العشر الأواخر فقالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ» (١٤).

ومن أحب رسول الله ﷺ تحرَّى ليلة القدر امتثالاً لأمره، ورغبةً في الفوز بثواب قيام هذه الليلة المباركة، وختم أيام الشهر المبارك بزكاة الفطر كما أمر رسول الله ﷺ؛ طمعاً في سدِّ الخلل الذي قد يكون صدر منه في أثناء الصيام، وحرصاً على الإحسان إلى المساكين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ» (١٥).

والمسلم في شهر رمضان كما يحرص على الأعمال الصالحة، فإنه يجتهد في البُعد عن الأعمال السيئة التي تؤثِّر في صيامه أو تُنقص أجره رغبةً في تحقيق الغاية العظمى من الصيام وهي التقوى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وإلى هذا نبَّهنا نبيُّنا ﷺ وقال: «إِنَّ الصِّيَامَ لَيْسَ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ فَقَطْ، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ...» (١٦).

وقال أيضاً: «رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ» (١٧).

فحريٌّ بالمسلم أن يجتهد في الاتِّصاف بصفة الجود؛ تأسِّياً بالنبي ﷺ، وقياماً بحق هذا الشهر، وطمعاً في فضل الله، وتطلعاً إلى مغفرته تعالى وعفوه، وبهذا يَسْلم المرء من دعاء أفضل خَلْق الله من الملائكة وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ،

(١٤) رواه البخاري (٢٠٢٤).
(١٥) رواه أبو داود (١٦٠٩)، وحسَّنه الألباني في إرواء الغليل (٨٤٣).
(١٦) رواه ابن حبان (٣٤٧٩)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٣٤٧٠).
(١٧) رواه أحمد (٨٨٥٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٠٨٣).

ومن تأمين أفضل خَلْق الله من البشر على ذلك الدعاء وهو نبيُّنا محمد ﷺ، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: آمِينَ» (١٨).

ومن أراد الوصول إلى مقام الجود وتحقيقه فعليه أن يُعلِّق قلبه بالله، ويُؤمِّل العطاء منه تعالى، وأن تكون ثقته بما في يد الله أعظم من ثقته بما في يده هو، مع الاجتهاد التَّام في تنمية محبة الله في قلبه؛ فإنه كلما ازدادت محبة الله في القلب كلما ازداد العبد قرباً منه تعالى وجوداً بما مَنَّ الله به عليه؛ يلي ذلك: الرغبة في مكارم الأخلاق، وعلو الهمة في التحلِّي بمعالي الأمور وأشرافها مع تعويد النفس ومِرانها على خُلُق الجود على اختلاف أنواعه في هذا الشهر المبارك كما كان رسول الله ﷺ، ويقرن ذلك بحسن الظن بالله والتوكل عليه، واستحضار الجزاء من ربِّه تعالى، وأن يعلم أنَّ أبواب الخير وصنائع المعروف فُرَص يفتحها الله لمن يشاء من عباده، وقد لا تعود إن أُغلِقت أبوابها، فليس في كل حالة وأوان تهيَّأ صنائع الإحسان، فإذا تيسَّرت للمرء فعليه أن يبادر لاغتنامها حذراً من فواتها، قال خالد بن معدان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا فُتِح لأحدكم باب خير فليُسْرِع إليه، فإنه لا يدري متى يُغلَق عنه» (١٩).

وختاماً أقول: مَن جادَ على نفسه بمجاهدتها على القُرب من ربِّها والمسابقة إلى عمل الصالحات مع لزوم السُّنة، وجادَ على عباد الله ببذل ما يستطيع من صنوف المعروف وأنواع الإحسان = جادَ الله عليه بالمغفرة، والرحمة، والعفو، والعتق من النار، ودخول الجنة بإذن الله.

والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(١٨) رواه ابن حبان (٤٠٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٩٦).

(١٩) حلية الأولياء لأبي نعيم (٥/٢١١).